نفحات رمضانية

مجموعة من المقالات كتبها سماحة السيد ضياء الخباز
(حفظه الله) في شهر رمضان سنة ١٤٤١هـ (سنة الكورونا)

النفحة الأولى

فليكن صيامكم حسينيّاً

(١) فليكن صيامكم حسينيّاً

أحبتي :

أتحبون أن تحظوا كلّ يومٍ بمائة ألف حسنة ؟!

أتحبون أن تحطّوا عن كواهلكم مائة ألف سيئة ؟!

أتحبون أن تُرفع لكم مائة ألف درجة ؟!

أتحبون أن تحظوا بثواب عتق مائة ألف نسمة ؟!

إن أحببتم كلَّ ذلك ، فما عليكم سوى القيام بعملٍ بسيطٍ جداً وأنتم على مائدة الإفطار ، قولوا إذا شربتم الماء : (اللهم العن قتلة الحسين بن علي عليه السلام) .

ولا تعجبوا - أعزتي - من كلّ هذا الثواب الجزيل - النابع عن الكرم الإلهي - فإنَّ السرَّ كلّ السِّرَ في الحسين عليه السلام ؛ إذ الحسينُ عظيمٌ ، وكلُّ ما ارتبط بالعظيم يكون عظيماً ؛ ولذا (فليكن صيامكم حسينيّاً) .

النفحة الثانية

هل أعددنا أنفسنا لقبول الدعوة الإلهية ؟

(٢) هل أعددنا أنفسنا لقبول الدعوة الإلهية ؟

حينما يدعوك شخصٌ له حقٌ عليك - فليكن أباً أو أخاً أو أستاذاً أو صديقاً أو أو - ولكنّك لا تلبّي دعوته ، ولا تستجيب له ، تُرى هل فعلتَ جميلاً أم قبيحاً ؟

وحينما تلبّي دعوته ، وتذهب إلى ضيافته ، ولكن بملابس متسخة ، وروائح نتنة ، تُرى هل ثمّنتَ دعوته ، وقدَّرتَ ضيافته ؟ أم أنّك احتقرته وأهنته ؟

لا أشكّ أنكم - أيها الأحبة - تعلمون الإجابة ، فالإجابة عن السؤالين واضحة ، والآن تعالوا معي إلى النقطة الأهم ، أتدرون نحن الآن في ضيافة مَن ؟!

لا أظنّكم قد غاب عنكم قول نبيكم الأعظم صلى الله عليه وآله : (هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله) ، فالداعي هو ربُّ العباد " تبارك وتعالى " لنحلّ ضيوفاً على مائدة كرمه ورحمته ومغفرته.

أتُرى أننا سنلبّي الدعوة ؟
أم سنصدّ عنها متنكرين لكل حقوقه ونعمه وألطافه ؟

(٢) هل أعددنا أنفسنا لقبول الدعوة الإلهية ؟

حتماً سنلبيها ، وسَنُيمّمُ نحو مائدة الله تعالى ، ولكنّ المقلق كيف سنلبيّها ؟

هل سنلبيها وقد غسلنا نفوسنا من أدران المعاصي ومظالم العباد ؟

أم سنلبيها بثيابنا المتسخة بقذارات الذنوب ونتن روائح الخطايا ؟

إلهي عفوك عفوك عفوك ، أنرفض دعوتك فنتمرد عليك ؟ أم نستجيب - وقد غمرتنا الذنوب والخطايا - فنسيء إليك؟ ارحمنا ، ليس بيدنا إلا أن نستجيب ، ولكننا نحتاج أن تتفضل علينا بقبول التوبة لكي نَرِدَ موائد رحمتك بثيابٍ طاهرة وروائح زكيّة

النفحة الثالثة

تَذَوّق كُلَّ أصناف المائدة

(٣) تَذَوّق كُلَّ أصناف المائدة

حينما تُوضع بين يديك - في إحدى جلسات الراحة - سلّةٌ من الفواكه الشهية والثمرات اليانعة ، فتسحر ناظريك بألوانها الزاهية ، وتثيرُ حاسّة شمّك بروائحها الطيبة ، لا شكّ أنّ نفسك سيكون لها شديدُ انجذابٍ نحو صنفٍ أو صنفين منها ، ولكن هل ستحرم نفسك منَ بقية الأصناف؟ أم أنها ستغريك وتدفعك نحو تناول شيءٍ منها حتى ولو كان قليلاً ؟

أظنّ أنّ شدّة جاذبية بعض الأصناف لن تمنع جاذبية الأصناف الأخرى من التأثير ، كما يُلاحظ لدى الأعم الأغلب من الناس ، فمن ينجذب نحو العنب كثيراً لا يتردد في أكل بعض حبات الرمان الأحمر ، ومن يحب التفاح كثيراً لا يحرم نفسه من أكل الكمثرى ، وهكذا ؛ إذ لكل صنفٍ طعمٌ ونكهةٌ ، وفوائد جسمية وصحية ، لا يشاركه فيها غيره من الأصناف .

وها هي مائدةُ الله تعالى قد مُدّت في شهرهِ المُعظّم ، وعليها ما لذّ وطاب من أصناف الزاد ، من تنفّلٍ ودعاءٍ وصلةِ رحم وتلاوة قرآن وتهجّدِ ليلٍ وصيام نهار ، ولا شكّ أنَّ لنفسكَ انجذاباً نحو بعض تلك الأصنافَ أكثر من غيره ، ولكن

(٣) تَذَوّق كُلَّ أصناف المائدة

إياكَ إياكَ أن تحرم نفسك من تذوّق الأصناف الأخرى ، فإنّ للنافلة من الأثر ما ليس للفريضة ، وللدعاء من الخواص ما ليس لتلاوة القرآن ، والعكس صحيحٌ أيضاً ، بل إنّ لكلّ دعاء لذة ليست لغيره من الأدعية ، ولكلّ آية أثر ليس لغيرها من الآيات ، فلا تحرم نفسك من تناول صنف من أصناف المائدة الإلهية ، فأنت تعيشُ هذه السنة فرصةً لا تدري هل تتكرر أم لا ؟ والعاقل هو الحريصُ على اغتنام الفرص .

النفحة الرابعة

الفطور والسحور وجبتان أم سُنَّتان ؟!

(٤) الفطور والسحور وجبتان أم سُنَّتان ؟!

يتعامل الكثيرُ من الناس مع الفطور والسحور كوجبتين ، ولذا قد يبالغ البعضُ فيهما ، بينما يزهدُ فيهما بعضٌ آخر، فلا يعتني بهما بتاتاً .

ومنشأ ذلك هو الغفلة عن كونهما سُنَّتين من سنن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة من آله عليهم السلام ، وليسا مجرّد وجبتين، وقد حثَّ عليهما الشارع الأقدس في غير واحدةٍ من الروايات ، ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " تسحروا ولو على شربة ماء ، وأفطروا ولو على شق تمرة ".

وعليهِ ، فَمَن تعامل مع الفطور والسحور كوجبتين لم يكن له منهما إلا الطعام ، ومَن تعامل معهما كسُنّتين - بأن قصد بهما امتثال أمر الله تعالى بهما ، وتطبيق السنّة النبوية - كان له الطعام والثواب معاً .

وأما مَن أراد الارتقاء إلى ما لا تدركه العقول القاصرة فما عليه إلا أن يقتصّ من وقته ثوانيَ معدوداتٍ يشغلها بقراءة سورة القدر المباركة قبل الشروع في الفطور والسحور ، أتدري لماذا ؟! أخشى أن أجيبك فلا يطمئن قلبك لإجابتي ، ولذا فالأحرى أن تصغي لإمامك زين العابدين عليه السلام وهو يقول: "من قرأ { إنا أنزلناه } عند فطوره وعند سحوره كان فيما بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله " .

ولينكسر القلمُ ها هنا ، فإنَّ مَن فتحَ لنا نوافذَ ثوابهِ حتى في طعامنا - الذي نندفعُ إليهِ بغرائزنا - تنحسرُ عقولنا عن إدراك جمال عطائه .

النفحة الخامسة

أدعيةٌ مُحيّرة

مما ينبغي للداعي - عند قراءة أدعية شهرِ رمضان وغيرها- أن يتأمل في فقرات كلِّ دعاءٍ يدعو الله تعالى به ، إذ الدعاءُ نحوٌ من أنحاء الطلب ، وليس يصح الطلب والداعي لا يدري ماذا يقول ؟! وهذا مما لا كلام فيه ، إنما الكلام فيما يجرّه التأملُ من التحيّر أحياناً للداعين ، وهذا التحيّر له - بحسب الغالب - منشآن :

الأول : توهم عدم تناسب المطلوب مع حال الداعي ، كالمرأة حين تقرأ فقرة : (ومن الحور العين برحمتك فزوجنا) ، فإنها قد تتوهم عدم انسجام هذه الفقرة معها .

الثاني : انصراف الداعي عن المطلوب المُتصوَّر في ذهنه ، كمن يقرأ الفقرة القائلة : (اللهم إني أسألك أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام) ، وهو لا ينوي الحج ، بل منصرف عنه .

فماذا يصنع الداعي المتأمل مع مثل هاتين الفقرتين؟ هل يتجاوزهما ، ويتصرف في الأدعية الشريفة بتقطيعها وتجزئتها ، وهو أمر منهيٌّ عنه شرعاً ؟ أم يقرؤهما مع اعتقاده بعدم ارتباطهما به ، فيكون كالهازل في طلبه ؟

لا داعي لكلّ هذا التحيّر ، فالحلُّ هو أن يقرأ الداعي كلّ فقرة من فقرات الأدعية الشريفة ، غايتُهُ إنه إذا مرَّ بفقرةٍ

من قبيل الفقرة الأولى فليتواضع أولاً ، وليتَّهم نفسه بقصور الفهم ثانياً، وليقصد بها ثالثاً ما قصده المعصوم عليه السلام الذي ورد عنه الدعاء ، وإن لم يعرف مقصوده بالتفصيل .

وإن مرَّ بفقرةٍ من قبيل الفقرة الثانية فليقصد قصده السابق أيضاً ، أو فليقصد طلبَ إيجاد العزم في نفسه ، وتهيئة مقدمات العمل له ، وإزالة جميع موانعه عنه .

وبالقصدين المذكورين يتجاوز الداعي محذور تقطيع الأدعية من جهةٍ ، ولا يكون هازلاً في طلبه من جهةٍ أخرى، وبذلك يزول تحيّره .

النفحة السادسة

اللهمَّ نبِّهنَا مِن نَوْمَةِ الغَافِلين

(٦) اللهمَّ نبِّهنَا مِن نَوْمَةِ الغَافِلين

طالما ناجينا الله سبحانه وتعالى بقولنا : (اللهم نبهنا من نومة الغافلين) ، وهو مطلب مهم ينبغي أن يهتمَّ به كلُّ إنسان ، ولكنّ السؤال الذي ينبغي أن يؤرّقنا هو :

هل نحن مستيقظون فعلاً ؟

أم نحن غارقون في سبات الغفلة ؟

لأجل أن نختبر أنفسنا ، فلنتعرف أولاً على علامات الغافلين ، فقد أخبرنا بها الإمام الصادق عليه السلام قائلاً : (قال لقمان لابنه : يا بني لكلّ شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها .. وإنّ للدين ثلاث علامات : وللغافل ثلاث علامات : السهو واللهو والنسيان) .

فللغفلة – بحسب هذه الرواية – ثلاث علامات :

١. اللهو ، وصاحبُ هذه العلامة هو مَن يهتم ببعض الأمور الزائفة ، ولا يهتم بقضاياه المصيرية .

٢. السهو ، وصاحبُ هذه العلامة هو مَن تغيبُ بعضُ الأمور المهمة عن ذاكرته ، ولكنها تبقى في خزانة حافظته ، بحيث إذا ذُكِّرَ بها يتذكرها .

٣. النسيان ، وصاحبُ هذه العلامة هو مَن تغيب بعضُ الأمور المهمة عن ذاكرته وحافظته معاً ، بحيث إذا ذُكِّرَ بها لا يتذكرها .

وحان الوقت الآن – ونحن نعيش في شهر التوبة والعبادة والطاعة – لنطبّق هذه العلامات الثلاث ، ونجعلها مقاييس عملية لاختبار يقظتنا وغفلتنا .

وبما أنني مطالب في هذه النفحات الرمضانية بضغطها واختزالها ، فلأقتصر على العلامة الأولى فقط - وهي : اللهو - فكم هي يا تُرى نسبة وجود هذه العلامة في حياتنا الرمضانية ؟

سأطلب منكم – أيها الأحبّة – أن تقوموا بعملية مقارنة ذاتية بينكم وبين أنفسكم ، من خلال الإجابة عن الأسئلة العشوائية التالية ، ومن خلالها ستكتشفون نسبة الغفلة ، وكل رجائي أن تكون نسبة ضئيلة أو معدومة في حياة الجميع .

س١ : كم دقيقة نستهلك عند الجلوس على مائدة الإفطار في قراءة الأدعية المستحبة حينها ؟ وكم دقيقة نستغرقها - في المقابل - في مشاهدة البرامج التلفزيونية ؟

س٢: كم ساعة نقضيها طوال اليوم في متابعة برامج التواصل الاجتماعي ؟ وكم ساعة نقضيها - في المقابل - في الصلاة وقراءة القرآن ودعاء الله سبحانه وتعالى ومناجاته ؟

س٣: كم هو الوقت الذي نستثمره من ساعات السحر كلّ ليلة في بناء الروح ، من خلال التنفل وقراءة أدعية السحر ؟ وكم هو الوقت الذي نصرفه من هذه الساعات العظيمة في متابعة المسلسلات الشيطانية ؟

ولأكتفي بهذه الأسئلة ، وكلي رجاء أن لا يكون لهذه العلامة وجودٌ في حياة أحد الأحبة، وإن كانت - مع كمال الأسف - فإني أرجو أن لا يكون هنالك وجودٌ لعلامة أخرى غير هذه العلامة (اللهو) ؛ وإلا فإنَّ من المؤلم أن يكون الإنسان في هذا الشهر الكريم ساهياً أيضاً ، بحيث تمرُّ عليه - مثلاً - ساعةُ العتق من النار في كلّ ليلة - وهي ساعة الإفطار - فلا يطلب هذا الأمر المصيري من ربه تعالى ، بل تراه مشغول القلب والحواس بمتابعة المسلسلات الماجنة والبرامج الهابطة

النفحة السابعة

إيمان النبي صلى الله عليه وآله وإيمان أبي طالب عليه السلام لا يفترقان

(٧) إيمان النبي ﷺ وإيمان أبي طالب عليه السلام لا يفترقان

الذي ندّعيه - من خلال العنوان - أنه لا يمكن الإيمان بإيمان النبي ﷺ من غير الإيمان بإيمان أبي طالب عليه السلام، وقد تبدو هذه الدعوى لأوّل وهلة غريبة، ولكنّ هذه الغرابة ستزول بالتأمل في آيتين من آيات القرآن الكريم.

أما الآية الأولى: فهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وحتى تعرف ارتباطها بما نحن فيه راجع تفاسير المسلمين وستراها شبه مطبقة على تفسيرها بأبي طالب عليه السلام، بدعوى أنّ النبي ﷺ أراد هداية عمه ولكنه أبى وامتنع، فنزلت الآية، والذي يهمنا من هذه القصة المزعومة هو: أنّ النبي ﷺ كان محباً لأبي طالب عليه السلام، بمقتضى قولها: (مَن أحببت)[1].

وأما الآية الثانية: فهي قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، وهذه الآية صريحة في نفي الإيمان بالله واليوم الآخر عن كلّ مَن ودَّ وأحبَّ مَن حادّ الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ[2]،

---

(١) قال الشوكاني في (فتح القدير) في تفسير الآية: (إنك لا تهدي مَن أحببتَ من الناس، وليس ذلك إليك).

(٢) قال الشوكاني في (فتح القدير) في تفسير مفردة (يوادّون) من الآية: (أي: يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله)، وكذا قال القرطبي في تفسيره.

حتى ولو كان هذا المُحادّ أباً أو ابناً أو أخاً أو عمّاً أو خالاً ، وقد فُسّرت المحادّة في كثيرٍ من التفاسير بالشقاق والمخالفة[٣] .

وحينئذ نقول : إنّ أبا طالب عليه السلام إما هو مؤمن - كما هو معتقد الشيعة - أو لا ، فإن كان مؤمناً فهو المطلوب ، وإن كان غير مؤمن - والعياذ بالله - يلزم - والعياذ بالله أيضاً - أن لا يكون النبي ص مؤمناً ؛ لأنه قد أحبَّ - بمقتضى الآية الأولى وتفسيرها - أبا طالب عليه السلام ، وبما أنّ أبا طالب عليه السلام من المحادّين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله - كما هو معتقد بعض المسلمين - فيلزم وفقاً له نفي الإيمان عن النبي صلى الله عليه وآله بمقتضى الآية الثانية، لأنها قد نفت الإيمان عن كلِّ مَن ودَّ وأحبَّ مَن حادّ الله ورسوله ، وهذا مما لا يمكن لمسلم أن يتفوه به .

ولعلّ هذا الذي ذكرناه هو أحد معاني قول النبي صلى الله عليه وآله : (أنا وكافل اليتيم كهاتين) وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

---

(٣) قال ابن كثير في تفسيره : (المحادين لله ورسوله يعني : الذين هم في حدّ ، والشرع في حدّ ، أي مجانبون للحق ، مشاقون له ، هم في ناحية ، والهدى في ناحية)

النفحة الثامنة

أتقنوا دعاءكم لإمام زمانكم

عجل الله تعالى فرجه الشريف

(٨) أتقنوا دعاءكم لإمام زمانكم عجل الله تعالى فرجه الشريف

كثيراً ما نردّدُ على الألسنة وفي المحافل وعلى المنابر الدعاءَ المشهور: (اللهمّ كن لوليك الحجة) ، غير أنَّنا كثيراً ما نأتي به ناقصاً للأسف الشديد ، وليس يخفى علينا أنّ الدعاء الناقص لا يُؤثِّر أثره كالدعاء الكامل ؛ إذ حالُ الدعاء - كما يقول بعضُ أهل المعرفة - كحالِ الدواء ، فكما أنّ الدواء مركبٌ من عدّةِ عناصر ، وإذا فقد أحدها لم يؤثّر أثره المرجوّ منه ، كذلك الدعاءُ مركّبٌ من عدة فقرات ، وكلُّ فقرةٍ - بل كلُّ حرفٍ منه - لها دخالةٌ في الأثر ، فإذا لم يُؤتَ بتمام فقراته لم يترتب عليه أثره .

وإذا أردتم - أيها الأحبّة - أن نكتشف موضع النقص في دعائنا ، فلنرجع للمصدر الأمّ الذي نقلَ لنا الدعاءَ الشريف، وهو كتابُ (الكافي) ، لثقة الإسلام الكليني (طاب ثراه) ، فقد أوردَ فيهِ بسندهِ عن الصالحين عليهم السلام قال: تُكرِّر في ليلةٍ ثلاثٍ وعشرين مِن شهر رمضان هذا الدعاءَ ساجداً وقائماً وقاعداً، وعلى كلِّ حال ، وفي الشهر كلِّه ، وكيف أمكنك ومتى حضرك من دهرك ، تقول - بعد تحميد الله تبارك وتعالى،والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله - : " اللهم كُن لوليك .. الخ ".

فهل اكتشفتم - أيها الأعزّة - أين هو موضعُ النقص ؟!

(٨) أتقنوا دعاءكم لإمام زمانكم عجل الله تعالى فرجه الشريف

الموضعُ هو ترك التحميد والصلاة على النبي وآله عليهم السلام في بداية الدعاء، إذ قد اتضح من الرواية أمرُ الإمام عليه السلام أن يُفتتح الدعاءُ المذكور بالتحميد والصلاة، ومِن ذلك نعلمُ أنّ الشروع في الدعاء بغير التحميد والصلاة لهو من الأخطاء المشهورة التي تلزم معالجتها.

وما دمنا - أحبابي - في رحاب هذه الرواية الشريفة، فلا يفوتنا الالتفات إلى ما أمرَ بهِ الإمامُ عليه السلام فيها من الدعاء لإمام العصر وولـيِّ النعمة (أرواحُ مَن سِوَاهُ فِدَاه) في جميع أيام شهر رمضان المبارك، ولنكن حريصين - امتثالاً لهذا الأمر السامي - على الدعاء له (أرواحنا فداه) بهذا الدعاء الشريف في سائر أوقات هذا الشهر المبارك، ولكنَّ المهم - الذي يجب أن لا نغفل عنه - هو إتقانُ الدعاء، فعلينا أن لا ننسى افتتاحه بالتحميد والصلاة.

النفحة التاسعة

فرصةُ علاج الروح

(٩) فرصةُ علاج الروح

حين نمرضُ ونذهبُ إلى المستشفى ، فكلٌ منّا بحكم ما يشكوه من أعراضٍ معينة سيقصد طبيباً معيناً ، وكلُّ طبيب بحكم ما يشكوهُ مريضه من أعراض سيصف له دواءً محدداً ، وهكذا تتعدد الأدوية تبعاً لتعدد الأعراض والأمراض .

هذا كلُّه في جانب الأمراض العضوية والأعراض الجسدية، والحالُ هو الحال في جانب الأمراض الروحية والأخلاقية والمعنوية أيضاً ، فكلٌ منّا على مدار السنة يُبتلى بالعديد منها على تعددها وتنوعها ، سيما ما ينتج منها عن مقارفة الذنوب والمعاصي ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منها - ما لم يبادرِ العبدُ إلى اقتلاعه بالتوبة والاستغفار - يترك أثراً معنوياً سيئاً على قلب الإنسان وروحه .

ولا شكَّ أنَّ ذلك مما يحتاج إلى العلاج ، كما لا شكَّ أيضاً أنّ العلاج سيختلف باختلاف الأمراض المعنوية وتعدد وتنوّع أعراض الذنوب ، فمتى سيكون هذا العلاج وكيف ؟!

هنالك محطة علاج لا بدّ أن يتوقف فيها الإنسان كل عام إن كتبَ اللهُ تعالى له الحياة ، وقد أطلقَ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليها اسم (شهر التوبة) ، فإننا بعد سنةٍ كاملة من المرور

(٩) فرصةُ علاج الروح

بالعشرات من أمراض الروح والآفات والأدران المعنوية نتوقف جميعاً في هذه المحطّة استعداداً للعلاج الإلهي، ونحنُ بينَ مَن يحمل همَّ الخروج من هذه المحطة وقد تخلص من جميع أمراضه، وبينَ غير مكترث بذلك أصلاً، وقسمٌ ثالثٌ بينَ بين.

والقسمُ الأوّل فقط - جعلنا الله تعالى جميعاً منهم - هم الذين يحرصون على الإتيان بكل ما يستطيعون من الأعمال والطاعات في هذا الشهر، لأنهم يدركون أنّ كلَّ عملٍ من أعماله يعالج مرضاً من الأمراض وعرضاً من الأعراض التي ابتُلوا بها طوالَ سنةٍ كاملة، فبعض أمراض الروح علاجها الاستغفار، وبعضها علاجه الصلاة، وبعضها علاجه الدعاء، وبعضها علاجه تلاوة القرآن، وهكذا.

ومن هنا نفهم سرَّ كثرة الأعمال في هذا الشهر الكريم، فإنَّ كثرة الأمراض قد فرضت كثرة الأعراض، وكثرة الأعراض قد فرضت كثرة العلاجات، وكثرة العلاجات قد فرضت كثرة الطاعات؛ لأنّ كلَّ طاعةٍ تعالج آفةً من الآفات.

فاحرصوا - أيها الأحبة - على اغتنام فرصة العلاج، وأعتقوا أرواحكم من أمراضها.

النفحة العاشرة

وأينَ مِثْلُ خديجة ؟!

(١٠) وأينَ مِثْلُ خديجة ؟!

تقولُ مولاتنا أم سلمة رضي الله عنها : فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : " خديجة وأين مثل خديجة ؟ صدقتني حين كذبني الناس ، وآزرتني على دين الله ، وأعانتني عليه بمالها " .

وهنا فلنقف قليلاً - مع بناتنا وأخواتنا العزيزات - عند قوله صلى الله عليه وآله : " وأين مثل خديجة ؟ " ، فإنهنَّ معنيات بهذا الاستفهام النبوي أكثر من غيرهنَّ - وإن كان الجميع معنياً به - لماذا؟ لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد استخدم أداة الاستفهام (أين) ، وهذهِ الأداةُ إذا أُضيفت إلى (مثل) فقيل : (أين مثل فلان) فإنها تكون ظاهرةً في الإخبار عن العدم .

ولم يترك النبي صلى الله عليه وآله سبب إخباره عن عدم وجود مثل خديجة عليها السلام غامضاً ، بل ذكرَ ثلاثة أسباب ، فقال :

١. " صدقتني حين كذبني الناس " ، إذ أنها عليها السلام قد صدّقت النبي صلى الله عليه وآله تصديقاً اعتقادياً وقولياً وعمليّاً تاماً في كلّ ما جاء به ، ولم تخالفه أدنى مخالفة .

٢. " وآزرتني على دين الله " ، إذ أنها عليها السلام قد آزرته وأعانته وتضامنت معه على نشر دين الله تعالى ، حتى ثبت أساسه ورسخت جذوره .

٣. " وأعانتني عليه بمالها " ، إذ أنها عليها السلام قد بذلت كلّ ثروتها

الطائلة من أجل دين النبي ورسالته الخاتمة .

وهذا ما يدعو كلّ امرأةٍ مؤمنة أن تقيس نفسها على ضوء هذه الأسباب الثلاثة ، ولتسأل نفسها الأسئلة التالية :

أولاً : كم هي نسبة تصديقها لتعاليم النبي ﷺ وإرشاداته تصديقاً قوليّاً وعمليّاً ؟ ولتلحظ قضية الحجاب وغيرها من القضايا التي تمسُّ حياتها ، ثمّ فلتحاول أن تحدد بينها وبين نفسها نسبة تصديقها للنبي ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً في تلك القضايا وغيرها .

وثانياً : كم هو مقدار مساهمتها في ترسيخ دين الله تعالى وتثبيته ، ولو في حدود مملكة أسرتها ؟

ولتسأل نفسها طبقاً للحدّ الأدنى المتيّسر لكلّ امرأة تعيش في ظلِّ أسرة : هل أنها - كزوجة أو كأمٍّ أو كأخت أو كبنت - قد أسهمت في بناء أسرة مؤمنة ، بأن قاربت بين أفراد أسرتها وبين الالتزام الديني ؟

أم أنها أسهمت - بسبب تسامحها ولاإباليتها - في انفلاتهم الديني ؟!

وهل أنها - بعفافها وحجابها مثلاً - قد أسهمت في حفظ طهارة مجتمعها المؤمن والتزامه؟

أم أنها - بإبراز زينتها ومفاتنها ، لا سمح الله - قد أسهمت في انحراف الشباب وغوايتهم ؟

وثالثاً : كم هو مقدار ما بذلته من مالها - إن كانت من المقتدرات - في سبيل دين الله تعالى ، بأن ساهمت في تشييد صرح من صروح الدين ، أو دعم دورة تعليم دينية ، أو طباعةَ كتاب نافع ، أو غير ذلك من الموارد ؟

هذه أسئلة ثلاثة مهمة تنبعثُ عن المقاييس التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله في الإشادة بالسيدة خديجة عليها السلام ، وما أجدر بأخواتنا وبناتنا المؤمنات أن يتأملنَّ فيها تأملاً صادقاً .

النفحة الحادية عشرة

وَقُرِعَ جَرَسُ الإِنذَارِ الأَوَّل !!

(١١) وَقُرِعَ جَرَسُ الإنذار الأوَّل !!

روى السيّدُ ابن طاووس قدّس سرّه في (إقبال الأعمال) - في أدعية الليلة العاشرة - عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (مضى من الشهر المبارك الثلث ، ولستُ أدري سيدي ما صنعتَ في حاجتي ؟ هل غفرتَ لي؟ إنْ أنتَ غفرتَ لي فطوبى لي ، وإن لم تكن غفرتَ لي فواسوأتاه).

ثلاثةُ أجراسٍ تُقرعُ في ثنايا شهر رمضان ، وهذا الجرسُ هو أوّلُها ، فقدً مضى من الشهر المبارك الثُلُث وبقيَ الثُلثان.. مضت عشرةُ أيام وبقي عشرونَ يوماً ، وهذا ما يستحق قرعَ الأجراس ، فإنَّ الفرصة لا تُعوّض ، والأوقات لا بدلَ لها، وهل نجد - في غير هذا الشهر المبارك - أوقاتاً يكون النومُ فيها عبادةً والأنفاسُ تسبيحاً ؟!

إنما يحقُّ لنا - أحبابي - أن نتساءلَ هنا : لماذا هو قَرْعُ الجرس في هذه المحطّة الرمضانية بالخصوص ؟

والجوابُ : يُحتمل إنَّ ذلك يعود لثلاثة أغراض :

١. **الأول :** الإرشاد ، فقد ظهرَ من دعاء النبي صلى الله عليه وآله أعلاه : إنّ الصائمَ ينبغي أن يكون في هذا الشهر صاحبَ هدفٍ وحاجة، وعليهِ أن يسابقَ الوقت في هذا المضمار من أجل تحقيق ذلك الهدف والفوز بتلك الحاجة ،ومن المعلوم إنّه ليست هنالك

حاجة سامية يطمحُ لها جميعُ الصائمين سوى الفوز بالمغفرة والعتق من النار ، ومَن غفلَ منهم عن استغلال شهر التوبة في تحقيق هذه الحاجة ، فها هو النبي صلى الله عليه وآله يقرعُ الجرس لينبهه من غفلته ويرشده إلى ضرورة الاهتمام بها.

٢. **الثاني :** التنبيه ، فإنّه كما مضى الثلثُ سيمضي الثلثان، ولكنّ المهم كيف مضى ؟! هذا هو ما يحتاج إلى وقفةٍ جادّةٍ وصادقةٍ مع النفس ، فقد مضت من ساعات أيامنا ٢٤٠ ساعة، وحقَّ لنا أن نحاسب أنفسنا حساباً دقيقاً ، لنعرف كم ساعة من هذه الساعات الثمينة قد استهلكناها في اللهو - بين مشاهدة المسلسلات ، واللعب بالألعاب الالكترونية ، ومتابعة وسائل التواصل الاجتماعي - وكم ساعة قد استثمرناها في أداء النوافل وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية الشريفة وأعمال الخير ؟!

صدقوني أحبتي : ما أحوجنا لعملية المحاسبة هذه - ونحن في هذه المحطة الرمضانية - ليكون الثلثان الآتيان من شهرنا الكريم أفضل من الثلث الفائت ، سواء كنّا فيه من المسوّفين أم كنّا من المستثمرين .

٣. الثالث : التحفيز ، فالكثيرُ منّا يفتتحُ الشهر الكريم بمعنوياتٍ عالية ، ولكنه ما أسرع أن يبدأ بالتراجع ، حتى إذا ما بلغ ثلث الشهر تراه يعيش حالةً من الفتور والبرود ، فربمّا يهمل بعض الطاعات وربما يسوّف في بعضها الآخر ، مما يجعله بحاجةٍ إلى المثيرات والمحفّزات ، فجاء هذا الدعاء النبوي ليدفع الصائم نحو إكمال الرحلة مع تمام الرغبة والإقبال .

وحريٌّ بنا - أيها الأحبة - أن نعاهد الله تعالى منذ هذه اللحظة بما علّمنا إياه رسولنا الأعظم ﷺ فنقول :(فمن الآن سيدي فاغفر لي وارحمني ، وتب عليَّ ولا تخذلني ، وأقلني عثرتي ، واسترني بسترك ، واعف عني بعفوك ، وارحمني برحمتك ، وتجاوز عني بقدرتك) .

النفحة الثانية عشرة

شكراً لمحمدٍ وآل محمد عليهم السلام

كلُّنا - أحبابي - نعلمُ أنَّ شهرَ رمضان المبارك هو شهرُ التوبة والطاعة ، والفرصةُ التي لا يُمكن أنْ تُعوَّضَ على الإطلاق ، ولذا فإنَّ جميعَ المؤمنين في هذا الشهرِ الكريم يعيشونَ حالةً من الاستنفار ، وهنيئاً لهم ما هُم فيهِ وعليه.

إنما الشيءُ المُثيرُ الجدير بالالتفات هوَ : أنَّ الصائمَ حين يفتحُ عينيهِ - منذُ بداية الشهر - يفتحهما على عشراتِ بل مئات الأعمال والطاعات ، بالنحو الذي يُشبِعُ جميعَ الأوقات، ويتناسبُ مع مختلف الميول والطبائع ، بحيث لا تبقى معه حيرةٌ لمحتار .

❁ فمن كانَ لا يستطيع التفرّغَ للطاعة إلا في النهار ، لن تتعذر عليه الطاعة ، فإنّهُ إنْ شاءَ ملأَ وقتَهُ بالاستغفار ، أو بالصلاة على النبيِّ وآله عليهم السلام ، أو بالتسبيح ، أو بالصدقة ، أو بتلاوة بعض السور القرآنية ، أو بقراءة بعض الأدعية النهارية ، أو بصلاة ركعتين ، أو بجميع ذلك .

❁ ومَن كان لا يناسبه من الوقت إلا الليل، وجد أمامه خيارات قربية كثيرة ، فإن شاءَ قرأ الأدعية الليلية - كدعاء الافتتاح وغيره - وإن شاء قرأ سورة الدخان ، وإن شاء أدّى نوافل كلِّ ليلة ، وإن شاء جاء بكلّ ذلك.

❁ ومَن لم تتهيأ نفسه لطاعة الله تعالى إلا في ساعات السحر

فحسبه أنْ ينقطع لخالقهِ بأداء نافلة الليل ، وقراءة أدعية السحر وما أكثرها ، ولو لم يكن منها إلا دعاء أبي حمزة الثمالي لكفى ، كيف وأدعية السحر عديدة وكثيرة ، ولكلٍّ منها لذَّةٌ ليست لغيره !!

❁ ومَن كان يميلُ إلى قراءة الأدعية عقيب كلّ فريضةٍ ينتهي منها ، فهو الآخر لن يبقى حائراً ، فإنّهُ إنْ شاءَ قرأ دعاء (اللهم أدخل على أهل القبور السرور) ، وإن شاء قرأ دعاء (يا عليُّ يا عظيم) ، وإن شاء قرأ غيرهما .

❁ وليس ذلك فحسب ؛ إذ هنالك مِن الناس مَن لا يميل إلى التكرار ، فدونه ما لا يتكرّرُ من الأعمال ، كالأدعية المختصة بكل يوم وليلة ، وهنالك مَن يحب أن يضع له برنامجاً واحداً لا يختلف، فدونه الأعمال المتكررة ، كقراءة دعاء (إلهي وقف السائلون ببابك) أو دعاء (اللهم هذا شهرُ رمضان) ، وهنالك مَن يحبُّ الالتزام ببرنامج يومي واحد ، فدونه ما تقدم ، وهنالك مَن تضيق نفسه عنْ ذلك ، فيحب أن يأتيَ بعملٍ جليلٍ في مجموع الشهر وإن لم يأتِ به في كلِّ يوم ، فهذا أيضاً يستطيع ذلك ، إذ بإمكانه أن يصلّي في الشهر كلّه ألف ركعة ، أو يقرأ فيه سورة القدر ألف مرة، متى ما وسعه ذلك ، وبأيّ نحوٍ شاء .

❁ ولا يقف الأمر عند ذلك ، فلليالي البيض أعمالها المختصة بها ، ولليلة النصف أذكارها ، ولليالي القدر أورادها ، وللعشر الأواخر طاعاتها التي لا يشترك فيها معها غيرها ، فمن شاء استقلّ ومَن شاءَ استكثر .

❁ وهل تظنون - أيها الأحبة - أننا استقصينا كلَّ ما هنالك؟ كلّا وألف كلّا، ولتتأكدوا ما عليكم إلا أن تلقوا بنظرةٍ خاطفة على كتاب (إقبال الأعمال) للسيد ابن طاووس (طاب ثراه) لتدركوا أنّ الأعمال في هذا الشهر بالمئات، ولو اهتمَّ الإنسان بإتيان ما تسعه طاقته منها لم يخرج من الشهر إلا وقد امتلأ رصيده بما لا يستطيع أن يملأه به على مدار سنةٍ كاملة .

❁ وفي الختام لا ننسى : أنَّ كلَّ ذلك إنما هو ببركة النبي وآله عليهم السلام ؛ إذ كلُّ تلكم الأعمال والطاعات والجواهر واللئالئ إنما وصلت إلينا من طريقهم ، فشكراً شكراً لمحمدٍ وآل محمد عليهم السلام .

النفحة الثالثة عشرة

قصّتُنا وقصّةُ البستانيّ

تخيّل نفسك بستانياً تعملُ في أحد بساتين الورود ، وقد أعطاكَ صاحبُ البستان - والذي يملكُ ما لا يُحصى من البساتين - أحدَ بساتينه لتعمل فيه مجاناً ومن غير مقابل ، وليس ذلك فحسب بل أعطاك بذور الورود والرياحين ، وعلمَّكَ كيفية زراعتها وسقيها ورعايتها والمحافظة عليها، وقمتَ أنتَ بزراعة المئات - بل الآلاف - من الأزهار الجميلة والرياحين العبقة .

ثمَّ لمَّا أينعت تلك الورود ، وفاحت روائحها الزكية ، وحانَ وقتُ قطافها ، خطرت في ذهنك فكرةٌ جميلة ، وهي أن تقوم بزيارة صاحب البستان لتهديه باقةً من تلك الرياحين والأزهار ، تعبيراً عن شكرك لأياديه البيضاء .

لا شكّ أنها فكرةٌ جميلة ، ومبادرةٌ طيبة ، تستحق التقدير والإشادة ، ولكن !!

❖ هل تعتقد أنَّك بذلك قد أدّيتَ حقَّ شكر صاحب البستان؟!

❖ وهل تعتقدُ أنّكَ أصبحتَ بذلك صاحبَ جميلٍ وفضلٍ عليه ؟!

❖ وهل تعتقدُ أنّكَ بذلك قد أعطيتَ صاحب البستان ما ليس عنده ، وما يحتاج إليه ؟!

أعتقد أننا جميعاً - أيها الأحبّة - سنتفق على الإجابة بالنفي عن جميع الأسئلة الثلاثة، وسنقول: كلّا، كلّا، كلّا.

إذا عرفتم قصّة البستاني مع صاحب البستان، فهي نفسها قصتنا مع أولياء النعم: محمدٍ وآل محمد عليهم السلام، فكلُّ ما نمتلكه من بذور الأعمال والطاعات، وكلُّ ما نعرفه من كيفية زراعة بستان الطاعة ومزرعة العبادة، إنما هو منهم عليهم السلام، وبالتالي فإننا حينما نُوفَّق للعمل ببعض ما جاء عنهم من الأدعية والصلوات والمناجاة وغيرها من الطاعات، ثُمَّ نهديهم عليهم السلام ثوابَ شيءٍ من ذلك، فما نحن إلا كذلك البستاني الذي أهدى صاحب البستان باقةً من وروده، فإنها منه وإليه، وما هو بحاجةٍ لشيءٍ منها، إذ أنَّ بساتين وروده وأزهاره لا يحصيها إلا الله تعالى، ولكنّها مجرّد رسالة شكر وتعبير محبّة.

النفحة الرابعة عشرة

تلاوةُ القرآنِ ودرجاتُ الجنّة

في كلِّ يوم من أيام شهر رمضان المبارك ندعو الله تعالى بالدعاء الوارد عن الإمام زين العابدين عليه السلام فنقول: (وَأَعْطِنِي فِيْهِ أَفْضَلَ ما تُعْطِي أَوْلِيائَكَ المُقَرَّبِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ ... وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالجَنَّةِ) ، إذ لا شكَّ أنَّ العتقَ من النار والفوزَ بالجنَّة هو المطمح الذي تشرئب له جميعُ الأعناق ، وتطمحُ إليهِ جميعُ النفوس .

ولكنّ النقطة التي ينبغي أن نلتفتَ إليها - أيها الأحبّة - هي: أنَّ طموحنا لا ينبغي أن يقفَ عند هذه الحدّ ، إذ أنّ الجنَّة درجات ، وليست درجة واحدة ، ولذا ينبغي أن يكون طموحنا هو بلوغ أعلى ما يمكننا الوصول إليه من درجات الجنة .

غيرَ أنَّ هذا الطموح لا يحصل بمجرد التمنّي والدعاء ، بل يحتاجُ لعملٍ جادّ واهتمام مستمر ، ودعوني أحدثكم عن عملٍ واحدٍ يعيننا جميعاً علىً ذلك ، أتدرونَ ما هو ؟

إنّه تلاوة القرآن الكريم ، وهو ما تحدثت عنه العديدُ من الروايات الشريفة، ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام فقال: (وعليكم بتلاوة القرآن فإنَّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن ، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارقَ ، فكلما قرأ آيةً رقى درجة) .

وأما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد تحدّث عن منتهى هذا الارتقاء، فقال: (وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمَن قرأ القرآن قال له: اقرأ وارقَ، ومَن دخل منهم الجنة لم يكن أحد في الجنة أعلى درجة منه، ما خلا النبيين والصديقين).

يا له من مقام عظيم !! لا يُلقاه إلا ذو عمل عظيم، إلا أنَّ حسرةً تبقى في النفوس الطامحة، فتتساءل: أما من سبيلٍ لتجاوز هذه النقطة أيضاً، والترقي إلى درجاتٍ أعلى وأعظم ؟

ودعوني أكونُ لكم هنا من المُبشّرين، فأقول: من الممكن ذلك، ولكن بشرطٍ واحدٍ، وهو أن تمدّوا جسراً بين الثقلين - بين القرآن الكريم والعترة المطهرة - فإنَّ هذا الجسر كفيل بأن يتجاوز بكم إلى درجاتٍ أعلى وأرقى، بل إنها منتهى العلو والرقي.

وما هذا بحديثٍ مفترى، بل هو ما يرويه الشيخ الكليني (طاب ثراه) في (الكافي) بسنده عن ابن المغيرة، فإنه ينقل حديثاً عظيماً دارَ بينه وبين الإمام الكاظم عليه السلام حول ختم القرآن في شهر رمضان، فيقول: قلتُ له: (كان أبي يختمه أربعين

ختمة في شهر رمضان ، ثم ختمته بعد أبي ، فربما زدتُ وربما نقصتُ على قدر فراغي وشغلي ونشاطي وكسلي ، فإذا كان في يوم الفطر جعلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله ختمة ، ولعلي عليه السلام أخرى ، ولفاطمة عليها السلام أخرى ، ثم للأئمة عليهم السلام حتى انتهيتُ إليك فصيّرتُ لك واحدة منذُ صرتَ في هذا الحال ، فأي شيء لي بذلك ؟ قال : لكَ بذلك أن تكون معهم يوم القيامة ، قلت : الله أكبر ، فلي بذلك ؟! قال : نعم ، ثلاث مرات) .

ولتكن هذهِ الرواية الشريفة مسك الختام ، وطوبى ثمّ طوبى ثمّ طوبى لمن ختمَ القرآن في شهر رمضان أربعة عشر مرة ، وأهدى كلّ واحدة لواحدٍ من المعصومين عليهم السلام ليكون معهم في الجنّة ، وهل بعد ذلك من طموح ؟!

النفحة الخامسة عشرة

وأمَّا الحَسَنُ عليه السلام

(إلَهي هَبْ لي كَمالَ الانْقِطاعِ إلَيْكَ ، وَأَنِرْ أَبْصارَ قُلُوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إلَيْكَ ، حَتّى تَخْرِقَ أَبْصارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ، فَتَصِلَ إلى مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ ، وَتَصِيرَ أَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ) .

لم يغب بعدُ هذا المقطع عن أذهاننا ، فهو جزءٌ من المناجاة الشعبانية التي طالما قرأناها ورددناها في شهر شعبان من كلّ سنة .

والمهمُ لنا من هذا المقطع فعلاً هو : أنه يحدثنا عن أنَّ للقلوب أبصاراً ، وأنَّ للأبصار ضياءً ، وأنها متى ما استنارت بهذا الضياء لم تصل إلى آثار العظمة فحسب ، كالعرش والكرسي واللوح - والتي عبّرت عنها المناجاة بـ (حجب النور) - بل تخترقها وتصل إلى (معدن العظمة) جلَّ جلاله .

وإنَّ القلب الذي يخترقُ ضياءُ بصرهِ كلّ تلك الحُجُب يكونُ وعاءً للمعارف الإلهية ، وبمقدار اختراقهِ لها يضيق وعاؤه ويتّسع ، ولربما اتّسع فأحاط بمعارف الأوّلين والآخرين ، وعلم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة .

أو لم يسبق لنا أن قرأنا قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؟!

بلى ، وقرأنا أيضاً قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ، فعلمنا من هذه وتلك أنَّ قلب أشرف الكائنات صلى الله عليه وآله كان خزانة العلم الإلهي .

ولكنَّ السؤال الذي يطرح نفسه ها هنا : تُرى ما هو ذلك الضياء الذي اخترق بهِ بصرُ قلب النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله حُجُبَ النور ، وانتهى إلى معدن العظمة وغيب الغيب ، فكان خزانة المعارف الإلهية والوحيانية ؟!

والجواب : إنه نورٌ من نورهِ ، وضياءٌ من ضيائهِ ، وشعاعٌ من شعاعهِ ، وسناءٌ من سنائهِ ، ولكن أتدرونَ - أيّها الأحبّة - مَن هو ؟!

سأترك لكم الإجابة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنه - كما يروي الشيخ الصدوق طاب ثراه في الأمالي - قد قال : (وأما الحسن فإنه ابني .. وضياء قلبي) .

وهنا ينكسرُ القلمُ فما عاد يدري ما يقول ؟!! وليس له إلا أن يتمثل بقول الشاعر فيقول :

وإذا وقفتُ أمامَ حُسْنِكَ صامتاً ... فالصمتُ في حَرَمِ الجَمَالِ جَمَالُ

النفحة السادسة عشرة

أفي سلامةٍ مِن ديني ؟!

حينما ينتمي الإنسان إلى الدين فإنه يمتلك بذلك أثمن جوهرة في عالم الوجود ؛ ولذا فإنَّ شياطين الإنس والجن تبدأ تحوم حوله من أجل سلبه هذه الجوهرة .

وغالباً ما تُسلب منه في ظلّ صراع بين دينه ودنياه ، فتراه يتخلى عن دينه ومبادئه من أجلِ منصب زائف أو لذّةٍ عابرة أو حفنةٍ من المال ، فقد يتاجر البعضُ - كما نشهدُ اليوم - بما يُلحق الضرر البالغ بسلامة أبناء مجتمعه في سبيل تنمية رصيده البنكي ، وقد تتخلى الفتاة المؤمنة عن حجابها الشرعي في سبيل أن تُشبع نهم الأنثوية لديها وتواكب صرعات الموضة المؤدلجة ، وقد وقد .

وإن أردنا أن نعرف ما هو مكمن المشكلة ؟ فإنه غياب أو تغييب الاستفهام العلوي عن مسيرة حياتنا ، وهو الاستفهام الذي أطلقه أمير المؤمنين عليه السلام حين رأى النبي صلى الله عليه وآله يبكي بكاءً شديداً، ولمّا سأله عن سبب بكائه وأجابه بقوله : " ضغائن في صدور قوم يبدونها لك بعدي " ، قال له أمير المؤمنين عليه السلام مستفهماً : يا رسول الله .. في سلامةٍ من ديني؟ فقال : في سلامةٍ من دينك، فقال: يا رسول الله إذا سلم لي ديني فما يسوؤني ذلك " .

(١٦) أيفي سلامةٍ مِن ديني ؟!

هذا الاستفهام العلوي (في سلامةٍ من ديني ؟) لو جعله كلُّ واحدٍ منّا بوصلةَ حياته ، ومقياساً لجميع تصرفاته وسلوكياته ، لما رأيتَ شخصاً يتذمر لشيءٍ من متاع الدنيا إنْ سلم له الدين ، فلا يهمه ضياعُ منصب ، ولا انحسارُ عنوان ، ولا خسارةُ مال ، ولا يؤلمه وصفه بالرجعي ونبزه بالمتخلف ما دام كلُّ ذلك في (سلامةٍ من الدين) .

هذا - يا شيعة علي - شعارُ إمامكم ، فليكن شعاركم الذي يتوّج مسيرة حياتكم ، والذي تقيسون به أفعالكم وأقوالكم ، فإنكم إن جعلتم قوله عليه السلام : (أيفي سلامةٍ من ديني ؟) نصب أعينكم ، ثقوا أنكم ستنتصرون في حلبات الصراع بين الدين والدنيا ، وإلا فعلى الدين السلام .

النفحة السابعة عشرة

ليلة القدر ليلة اجتهاد أم ليلة استرخاء ؟

النفسُ الإنسانية بطبيعتها ميّالة إلى الدعة والراحة ، وتثقل عليها الطاعة والعبادة ، ويزدادُ ذلك في أوقات الذروة، ولأجل ذلك يعلمنا أئمة أهل البيت عليهم السلام أن ندعو الله تعالى في كلّ يوم من شهر رمضان بقولنا : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَذْهِبْ عَنِّي فِيْهِ النُّعاسَ وَالكَسَلَ وَالسَّأَمَةَ وَالفَتْرَةَ وَالقَسْوَةَ وَالغَفْلَةَ وَالغُرَّةَ) .

فإنّ الفرصة في هذا الشهر الكريم - وفي ليلة القدر المباركة - لا تُعوّض ، وإذا مضت فلن تعود ، ومن المؤسف جداً أن تمرّ هذه الليلة على الإنسان فيرخي العنان لنفسه ، ليكتفي ببعض الأعمال القليلة ، بحجة عدم إقبال نفسه ، أو عدم توجهه عند أداء الأعمال ، حتى تنقضي الليلة وقد حُرم من خيرها الكثير .

إنّ مثل هذه الخواطر قد تخطر على النفس ، ولكن من المهم جداً أن يتنبّه الإنسان ويلتفت إلى أنها من إيحاءات النفس الأمّارة الميّالة للراحة ، وقد تكون من تسويلات الشيطان ، وكم هي الخسارة فادحة إن جنَحَ إليها واستسلم لها !!

فالجديرُ بالمؤمن عوض الاستسلام لتلك الأفكار أن يفكّر في كيفية علاج هذه الحالة - بتقليل الطعام مثلاً ، أو

بالاجتناب عن الملهيات ، كوسائل التواصل ، وغير ذلك – وكما يقول بعض أهل المعنى : إذا لم تجد في نفسك إقبالاً فاعلم أنك تعيش مصيبة الحرمان من عظيم الخير ، وقد يكون ذلك عقاباً إلهياً ، فلا تقف حينها متفرّجاً ، بل قم بالبكاء على حالك ، حيثُ يتسابق المؤمنون إلى الفوز ، وأنتَ المسكين تتفرج ولا تحرّك ساكناً ، وتظنّ أنك في أحسن حال .

أيها الأحبة أتدرون كيف كان يتعامل المعصومون عليهم السلام مع ليلة القدر ؟ لم يكونوا يتعاملون معها معاملة استرخاء ، بل كانوا يتعاملون معها معاملة اجتهاد .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوي فراشه ، ويشد مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين ، ويرش وجوه النيام بالماء في تلك الليلة .

وكانت الصديقة الزهراء عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة ، وتداويهم بقلّة الطعام ، وتتأهب لها من النهار ، وتقول : محروم من حرم خيرها .

وأما الإمام الصادق عليه السلام فقد ورد أنه مرض مرضاً شديداً ، فلمّا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمر مواليه فحملوه إلى المسجد ، فكان فيه ليلته .

فلتكن لنا بسادتنا المعصومين عليهم السلام أسوة ، ولتكن ليلة القدر في حياتنا ليلة اجتهاد واستنفار ، لا ليلة استرخاء ودلال ، فإنّ ميزانية سنتنا تتحدد من خلالها .

النفحة الثامنة عشرة

الصوم ولقمةُ الحلال

من المسائل الملفتة التي ركّزت عليها أدعية الصيام : مسألة اللقمة الحلال ، فالإمام الرضا عليه السلام منذ أول ليلة من ليالي الشهر الكريم كان يدعو بهذا الدعاء: " اللهم ارزقنا الإفطار من رزقك الحلال، اللهم سهل لنا فيه ما قسمته من رزقك، ويسر ما قدرته من أمرك، واجعله حلالاً طيباً نقياً من الآثام، خالصاً من الآصار والإجرام " .

وهكذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في أدعية نفس الليلة : " واجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل لي في عمري ، وتوسع عليَّ من الرزق الحلال " .

وجاء في أدعية ليلة القدر المباركة: " واجعل في الحلال الطيب الهنيء الكثير السائغ من رزقك عيشي ، ومنه لباسي، وفيه منقلبي ، واقبض عن المحارم يدي من غير قطع ولا شل " .

والأمر العجيب – الذي كشفت عنه الأحاديث الشريفة – هو انعكاس أثر اللقمة الحلال حتى على مقدار ثواب الطاعات والعبادات في هذا الشهر الكريم ، ففي الحديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قال : " مَن أفطر على تمرٍ حلالٍ زِيدَ في صلاته أربعمأة صلاة " .

وإنني - أيها الأحبّة - في الوقت الذي أقرأ فيه هذه النصوص الشريفة أتساءل في نفسي : ماذا تعني هذه المسألة - يا تُرى - لأولئك الأشخاص الذين توافينا المواقع الإخبارية بأخبارهم كلّ يوم ، وتطلعنا على صور كارثية مقززة لمخابزهم ومطاعمهم ومتاجرهم ومسالخهم وملاحمهم ومحامصهم الممتلئة بآلاف الأطنان من الأغذية الفاسدة الفتّاكة ؟!

لا أدري !! هل هبطت أسهم صحة الإنسان لدى هؤلاء إلى الدرجة التي أصبحت بها سلعة رخيصة لا قيمة لها ؟! أم أنهم قد اعتادت نفوسهم على لقمة الحرام ، فلم تعد تميّز بين قيمة الإنسان وقيمة الحيوان ؟!

أتمنى أن يكون ما حصل عبرة لهم ولغيره ، ودافعاً لتصحيح مسيرتهم، فالمؤمن - كما في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام - أخو المؤمن وعينه ودليله ، فلا يخونه ، ولا يخذله .

النفحة التاسعة عشرة

مراتب قراءة الأدعية الشريفة

حدثني أحد أجلاء أساتذتي (دامت تأييداته) قال : دخلتُ قبيل شهر رمضان المبارك على المرجع الديني الراحل ، سماحة آية الله العظمى ، السيد محمد الروحاني (طيّب الله ثراه) ، فسألته : هل هناك عمل معيّن تنصحني بالالتزام به في شهر رمضان ؟

فأجاب : نعم ، أنصحك بقراءة دعاء (مكارم الأخلاق) .

يقول أستاذي : فجمعتُ ما تيّسر لي من شروح الدعاء والصحيفة السجادية ، لأحيط بمعاني الدعاء المذكور قبل أن ألتزم بقراءته ، ولكنّ الذي حصل أنّ شهر رمضان قد دخل ولم أنتهِ من ذلك ، واتفق أنْ ذهبتُ لزيارة المرحوم السيد الروحاني في أوائل الشهر الكريم ، فسألني : هل التزمتَ بقراءة الدعاء ؟ يقول : فأجبته بالنفي وأوضحتُ له السبب ، فقال : أنا لم أطلب منك التدبّر والتأمل ، وإنما طلبت منك محض القراءة .

ولعلّ الذي كان يومئ له (طيّب الله ثراه) هو أنّ قراءة الأدعية ذات مراتب كقراءة القرآن الكريم ، فأدناها قراءة اللسان ، وأوسطها قراءة العقل، وأرقاها وأعلاها قراءة القلب .

وقد يتوهم البعض أنّ الأثر يترتبُ على المستوى الأرقى من القراءة فقط ، ولذلك ينصرف عن غيرها من المستويات ، ولكنه وهم خاطئ ،فإنّ لكلِّ مرتبة من مراتب القراءة أثراً يترتب عليها ، وحتى القراءة المحضة - التي لا إقبال معها ولا تدبر فيها - لها آثار تترتب عليها ، فمضافاً للأجر والثواب هنالك ومضات لحروفها وكلماتها تشرق في عقل وقلب قارئها بالمباغتة ومن غير استئذان ، بحيث لا يلتفت القارئ إلا وقد حرّك الدعاء في داخله معنى معيناً ، أو لفت نظره إلى ما لم يكن ملتفتاً إليه .

وهذه الآثار العجيبة ممّا يلمسها القارئ عند قراءة الأدعية الشريفة كما يلمسها عند قراءة القرآن الكريم ، مما يدل على أنّ قراءة القلب والاندماج الروحي إذا لم تتيسر ، وكذلك قراءة العقل والتدبر إذا لم تتوفر ، فلا يعني ذلك إهمال قراءة اللسان ، بل تنبغي المحافظة على القراءة ولو بهذا المستوى ، لما لها من الآثار المعنوية المطلوبة .

النفحة العشرون

دعاءُ مكارم الأخلاق

(٢٠) دعاءُ مكارم الأخلاق

دعاء (مكارم الأخلاق) - الذي حثّ العلماء على تلاوته في شهر رمضان المبارك - دورةٌ إرشاديةٌ مهمةٌ لمكارم الأخلاق ، وإنّي على تمام الثقة بأنَّ تلاوة هذا الدعاء الشريف لو جعلها الإنسان أحد برامجه اليومية أو الأسبوعية - بهدف تطبيق مضامينه السامية - لبلغ بهِ قمّةَ الهرم الأخلاقي .

وليس المهم في الأخلاق هو أن يجيد الإنسان فنّ التعامل مع المجتمع فحسب ، فإنَّ هذا وإن كان مطلوباً إلا أنَّ الأهمَّ منه هو توحيد الأخلاق في الخارج والداخل ؛ إذ ربَّ شخص تراه في خارج بيته مَلَاكاً ، بينما تراهُ داخل البيت سَبُعاً ضارياً ، وهذه الازدواجية في الأخلاق من أسوأ الرذائل ، ولها آثار برزخية يقشعّر منها عالمُ الأرواح .

وقد ألمحَ لذلك الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق بقوله: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ .. رَدِّ الْمُلَابِسِين كَرَمَ الْعِشْرَةِ) ، فإنَّ المُلابسين هم أسرة الإنسان ومَن بحكمهم ، وقد عبَّرَ الدعاءُ عنهم بذلك لأنَّ قربهم من الإنسان كقرب اللباس من الجسد .

غير أنَّ النقطة المثيرة في هذه الفقرة هي : أنَّه هل من المعقول أن يبلغَ الحالُ بهؤلاء الملابسين إلى حدِّ رفض مَن اقتربوا منه اقترابَ اللباس من الجسد ؟!

إنّه لأمر عجيب ومثير !!

والجواب : نعم ، قد يحصل ذلك ، وذلك فيما لو ساءت أخلاق الإنسان وتصرفاته مع ملابسيه، ولم يُحسن عشرتهم ومعاملتهم ، فإنَّ الأمر قد يصل بهم إلى حدّ تمني موته والخلاص الأبدي منه !!

وهذا ما يؤكّد ضرورة توحيد الأخلاق بين الخارج والداخل، واجتناب رذيلة الازدواجية .

والأهمّ من هذه الرتبة الأخلاقية هي رتبة توحيد الأخلاق بين الظاهر والباطن ، فإنّ الأخلاق المذكورة ربما لا تعدو كونها ديكوراً يزيّن ظاهر الإنسان ، فتراه خلوقاً في تعامله في الخارج والداخل، غير أنه في باطنه قد يكون مبتلى بالمُهلكات ، كالعُجب بالنفس والحسد والرياء ، وهذا ما يحتاج أيضاً إلى الاهتمام بمعالجته والخلاص منه ، ولذا وردَ في دعاء مكارم الأخلاق : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْني فِي النَّاسِ دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا) .

فاحرصوا - أيها الأحبّة - على المداومة على قراءة دعاء (مكارم الأخلاق) في شهر رمضان وغيره من الشهور ، فإنّ به مغانم روحية وأخلاقية لن تظفروا بها في غيره .

آخر النفحات الرمضانية

مفارقاتُ الأعياد

عندما نطل -أيها الأحبة- على تاريخ الأمم والمجتمعات سنلحظ أنَّ ثقافة العيد ثقافة سائدة ، لا تختص بمجتمع دون آخر، وإنما الاختلاف بينها في المناسبات ليس إلا ، فللنصارى عيد الفصح وعيد الكريسماس ، ولليهود عيد الغفران وعيد العرش ، وهكذا .

وقد تطورت وتوسعت ثقافة العيد ، فاستُحدِثَ عيدُ الأم وعيد الأب وعيد الميلاد وعيد الطفل وعيد الاستقلال وغيرها من الأعياد ، وقد ذاعت وشاعت بين جميع المجتمعات .

والجامع المشترك بين هذه الأعياد وغيرها أنها تُعبّر عن احتفالٍ بحدثٍ معيّن أو مناسبةٍ مهمة ، مع اختلاف أساليب التعبير عن هذا الاحتفال من مجتمع إلى آخر ، وإن كانت الأساليب العامة الحاكمة هي أساليب البهجة والسرور والفرح الغامر .

غير أنّ ثقافة الإسلام في عيديه الكبيرين - الفطر ، والأضحى - تميّزت عن غيرها من الثقافات ، بأن اعتبرت الانتصارات المعنوية هي المحور والجوهر لأعيادها ، فحين يحج المسلمون لبيت الله تعالى ، ويؤدون مناسك الحج المضنية ، ويصارعون في ذلك ملذات النفس وأهواءها ،

يأمرهم الإسلام بأن يحتفلوا بانتصارهم هذا ، ليدركوا أهمية الانتصارات المعنوية .

وحين يقومون برحلة جهاديةٍ خلال شهر رمضان المبارك ، وفيها ينتصرُ المعنى على المادة، والروح على الجسد ، وتؤوب النفس معها إلى عالم الطهر والنقاء ، يحتفل الإسلام بهذا الانتصار المعنوي الكبير فيما أسماه بـ (عيد الفطر) .

فالعيدُ - في ثقافة الإسلام - هو عيد الانتصار المعنوي ، وغلبة قيم الروح على لذائذ الجسد ، وما أجمل قول الإمام الحسن عليه السلام : (إنَّ الله عزَّ وجلّ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه إلى طاعته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، والعجب من الضاحك في هذا اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون) .

وإذا عرفنا - أيها الأحبة - ذلك نعرف حجم المفارقة بين من يحتفل بعيدي الفطر والأضحى تعبيراً عن انتصاره على شهواته وملذاته ، وبين مَن يحتفل بعيد الحب تعبيراً عن انتصار شهواته وملذاته عليه !!

الفهرس:

١. فليكن صيامكم حسينيّاً..... ١
٢. هل أعددنا أنفسنا لقبول الدعوة الإلهية ؟..... ٣
٣. تَذَوّق كُلَّ أصناف المائدة ٦
٤. الفطور والسحور وجبتان أم سُنَّتان ؟!..... ٩
٥. أدعيةٌ مُحيّرة..... ١٢
٦. اللهمَّ نبِّهنَا مِن نَوْمَةِ الغَافِلين..... ١٥
٧. إيمان النبي صلى الله عليه وآله وإيمان أبي طالب عليه السلام لا يفترقان..... ١٩
٨. أتقنوا دعاءكم لإمام زمانكم عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ٢٢
٩. فرصةُ علاج الروح..... ٢٥
١٠. وأينَ مِثْلُ خديجة ؟!..... ٢٨
١١. وَقُرِعَ جَرَسُ الإنذار الأوَّل !!..... ٣٢
١٢. شكراً لمحمدٍ وآل محمد عليهم السلام ٣٦
١٣. قصّتُنا وقصّةُ البستانيّ..... ٤٠
١٤. تلاوةُ القرآن ودرجاتُ الجنّة..... ٤٣
١٥. وأمَّا الحَسَنُ عليه السلام ٤٧
١٦. أيُّ سلامةٍ مِن ديني ؟!..... ٥٠
١٧. ليلة القدر ليلة اجتهاد أم ليلة استرخاء ؟..... ٥٣
١٨. الصوم ولقمةُ الحلال..... ٥٧
١٩. مراتب قراءة الأدعية الشريفة ٦٠
٢٠. دعاءُ مكارم الأخلاق ٦٣
٢١. مفارقاتُ الأعياد..... ٦٦

يمكنكم متابعتنا على وسائل التواصل التالية:

@aldiaa1

شبكة الضياء

http://aldiaa.net

شبكة الضياء

شبكة الضياء